
Looloo
www.dvd4arab.com

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق



١ ـ لقاء فى المغرب ..

تسللت أشعة الشمس الدافئة ، عبر زجاج النافذة الواسعة ، لتداعب وجه رجل استغرق فى نوم عميق ، داخل الجناح الملكى بمستشفى (الرباط) المركزى ، وامتدت أنامل رقيقة تمس فى إشفاق جبينه مسًّا رقيقًا ، ففتح عينيه فى بطء وتكاسل ، ولم يكد بصره يقع على صاحبة الأنامل الرقيقة ، حتى ابتسم ابتسامة زادت من وسامته ، وقال فى صوت لم يفارقه النعاس بعد :

ـ صباح الخير يا عزيزتى (منى) ، كم هو جميل أن يكون وجهك أول ما يطالعنى فى الصباح .

ابتسمت النقيب (منى توفيق) ، وقالت فى صوت خافت :

ـ كيف حالك هذا الصباح يا (أدهم) ؟

أطلق (أدهم صبرى) ضحكته الساخرة المألوفة ، وقال :

— فى خير حال يا عزيزتى ، وأعدّ لك مفاجأة سارّة .

جلست (منى) فوق مقعد قريب ، وقالت فى صوت أقرب إلى الهمس :

— إننى أتوق لمعرفتها .

وفى حركة مفاجئة رشيقة ، أزاح (أدهم) أغطية الفراش ، ثم نهض واقفًا على قدميه ، فاتسعت عينا (منى) فى دهشة تمتزج بالفرح ، وأخذت تنقّل عينيها غير مصدّقة ما بين قدميه ، ووجهه الذى ارتسمت فوقه ابتسامة هادئة ، ثم قفزت من مقعدها ، هاتفة :

— مستحيل ، لست أصدّق ما أراه .. إنك تقف على قدميك يا (أدهم) ، لقد نجحت فى هزيمة إصابتك(*) .

ابتسم ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (الرمال المحرقة) .. المغامرة رقم (٣٠) .

— لست معجزة يا عزيزتى ، إننى أواصل التدريب سرًا منذ ثلاثة أيام ، ولكننى لم أشأ إخبارك ، خشية أن أفشل فى تحريك قدمىّ .

انهمرت دموع السعادة من عينى (منى) ، وعجزت عن النطق ، وفى نفس اللحظة ارتفع صوت طرقات منتظمة على باب الغرفة ، فقال (أدهم) فى هدوء :

— ادخل يا من بالباب .

فتح الباب فى هدوء ، وظهر على عتبته رجل بدين ضخم الحجم ، ولم تكد عيناه تقعان على (أدهم) حتى تسمّر فى مكانه ، واتسعت عيناه ذهولاً ، على حين أشرق وجه (أدهم) فى سعادة وهو يهتف :

— (قدرى) ؟ يا لها من مفاجأة سارّة !!

اندفع (قدرى) نحو (أدهم) ، وعانقه فى حرارة صائحًا :

— يا لها من مفاجأة !! لقد أخبرنى السيد المدير أنك لن تسير على قدميك قبل شهر كامل .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وقالت (منى) فى سعادة :

ـ هذا القول لا ينطبق على (رجل المستحيل) يا (قدرى) ، لقد حطّم (أدهم) قوانين العلاج الطبىّ هذه المرة .

التفت إليها (قدرى) فى دهشة ، وكأنه تنبّه إلى وجودها لأول مرة ، ثم صافحها فى قوة ، وهو يهتف فى سعادة :

ـ معذرة يا (منى) ، لقد أنستنى المفاجأة مصافحتك .

ضحكت (منى) وهى تقول :

ـ رُوَيْدك يا (قدرى) ، إنك تحطّم يدى .

قهقه (قدرى) ضاحكا ، واهتز جسده البدين وهو يقول :

ـ معْذرةً يا (منى) ، كنت أظن الجوع قد حطّم قُواى .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول مداعبا :

ـ إن الفيل فى أشد لحظات ضعفه ، لا يمكنه مصافحة عصفور يا صديقى .

انطلق (قدرى) ضاحكا فى قوة ، ثم رفع حقيبته أمام وجه (أدهم) ، قائلا :

ـ هل تعلم ماذا أحمل لك ؟

قال (أدهم) :

ـ دعْنى أخمّن ، أهو فيل أبيض صغير ؟

قهقه (قدرى) ضاحكا ، وألقى جسده البدين فوق مقعد متواضع ، كاد ينهار تحت ثقله البالغ ، ثم قال وهو يفتح الحقيبة فى سرعة ، ويتناول منها ملفا أحمر اللون :

ـ إنها قصة قديمة ، ستعيد إليك ذكريات بعيدة ، إنها ملفّ أول عملياتك الرسميّة فى عالم المخابرات .

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يجلس على طرف فراشه :

ـ هل تقصد عملية (القوة (أ)) ؟

هزّ (قدرى) رأسه الضخم إيجابا ، وقال :

ـ إنك تذكر هذه العمليّة إذن !! .. لقد أعارنى المدير هذا الملفّ ، وسنطالعه معا ..

سألته (منى) فى اهتمام :

— ما عملية [القوة (أ)] هذه ؟

ابتسم (قدرى) ، وقال :

— إنها مغامرة رائعة ، قام بها (رجل المستحيل) يا (منى) .

صاحت (منى) فى لهفة :

— يا إلهى !! كم أتمنى سماعها .

ناولها (قدرى) الملف ، وهو يقول :

— ستقرئينها على مسامعنا يا (منى) ، فأنا أودّ أن أنصت فقط هذه المرّة .

فتحت (منى) أولى صفحات الملف ، على حين قال (أدهم) وهو يبتسم فى هدوء :

— لقد كان ذلك فى الشهور الأولى من عام ألف وتسعمائة وأربعة وسبعين يا (منى) ، كنت حينذاك قد انضممت رسميًا إلى المخابرات المصريّة برتبة نقيب و ....

قاطعه (قدرى) قائلاً :

— مهلًا يا صديقى ، لاتفسد علينا قراءة المغامرة ، سنبدأ الأمر من أوّله .

ثم التفت إلى (منى) ، وقال :

— هلُمّ يا صديقتى ، كلّى آذان صاغية .

ابتسمت (منى) وتنهدت ، ثم بدأت قراءة ملف عملية [القوة (أ)] .

* * *



٢ ـ ما بعد النصر ..

رفع النقيب (أدهم صبرى) يده بالتحية العسكرية ، أمام مدير المخابرات المصرية ، الذى ابتسم وهو يشير إليه بالجلوس ، قائلا :

ـ إننا لا نتبادل التحية العسكرية هنا أيها النقيب ، فجميعكم تنتحلون صفات مدنية ، وليس من المفضل اعتيادكم ذلك .

جلس (أدهم) وهو يقول :

ـ معذرة يا سيدى ، لقد طلبتنى على وجه السرعة .

هز مدير المخابرات رأسه إيجابا ، وقال :

ـ هذا صحيح أيها النقيب ، لقد أبديت تفوقا رائعا فى تدريبات رجال المخابرات ، ويمكن القول إنك أذهلت أساتذتك ، ومعلميك بقدرتك الخرافية على الاستيعاب والتقدم ، حتى أنهم أطلقوا عليك اسم (رجل المستحيل) .

غمغم (أدهم) فى هدوء :

ـ إنها مبالغة يا سيدى .

ابتسم مدير المخابرات قائلا :

ـ ليس هناك مجال للمبالغة ، أو المجاملة فى عالم المخابرات أيها النقيب ، فكل معلومة ـ ولو صغيرة ، تخضع للمبالغة ، أو المجاملة ـ قد يكون ثمنها أمن مصر بأكمله .

عاد (أدهم) يغمغم :

ـ هذا صحيح يا سيدى .

صمت مدير المخابرات لحظات ، وأخذ يعبث ببعض أوراق أمامه ، ثم قال :

ـ المخابرات الإسرائيلية لا تريد أن تتوقف عن القتال ، برغم هزيمة الجيش الإسرائيلى أمامنا فى أكتوبر أيها النقيب .

قال (أدهم) ، فى لهجة خرجت على الرغم منه ساخرة متهكمة :

ـ إنه مزيج من الغرور والعناد يا سيدى .

مطّ مدير المخابرات شفتيه ، وقال :

ـ بل هو أكثر من ذلك أيها النقيب ، إنه الانتقام .

رفع (أدهم) عينيه إلى رئيسه في تساؤل ، فاستطرد مدير المخابرات قائلًا :

ـ لقد نظّمت المخابرات الإسرائيلية خطّة انتقامية دموية ، لاستعادة تفوّقها الإعلاميّ ، بعد الهزيمة الساحقة لها في حرب أكتوبر ، وهذه الخطّة تعتمد على القضاء على عدد كبير من الدبلوماسيّين المصريّين ، والسوريّين في الخارج ، وإحاطة حوادث الاغتيال هذه بضجّة إعلامية تؤكد قدرة (الموساد) .

غمغم (أدهم) في حنق :

ـ يا للخسة !!

أردف مدير المخابرات :

ـ ومن أجل هذه الخطة الدموية ، أنشأ (الموساد) شبكة خاصّة وسط (أوربا) ، تقتصر مهمتها على هذه الاغتيالات السياسية ، ولقد بدأت هذه الشبكة عملها

باغتيال دبلوماسيّ مصريّ في (إيطاليا) ، وآخر سوريّ في (إنجلترا) ، ويطلقون على هذه الشبكة اسم [القوة (أ)] .

غمغم (أدهم) ، ساخرًا :

ـ هي شبكة عالمية إذن .

قال مدير المخابرات :

ـ ولكنها تتلقّى أوامرها من مكان ما في قلب (باريس) أيها النقيب ، ونحن لمْ نتوصّل بعد إلى رأس الأفعى هذا ، وهذه هي مهمتك .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال (أدهم) :

ـ هل سأعمل وحدي يا سيّدي ؟

ابتسم مدير المخابرات ، قائلًا :

ـ هذا ما أوصى به مدرّبوك أيها النقيب .

نهض (أدهم) ، وقال في حزم :

ـ فليكن يا سيّدي ، سأتولّى وحدي مهمة القضاء على [القوة (أ)] ، وسأتم ذلك بإذن الله .

تأمّله مدير المخابرات فى إعجاب ، وقال :

ــ هذا ما أنتظره منك أيها النقيب ، فلا بدّ أنْ تُثبت أحقيّتك بلقب (رجل المستحيل) .





٣ ــ الشبكة الدموية ..

أغلق (أدهم صبرى) عينيه متظاهرًا بالنوم ، فى الطائرة التى تحمله من القاهرة إلى (باريس) ، وعاد عقله يسترجع المعلومات التى حصل عليها عن [القوة (أ)] ، كانت المعلومات المتوافرة قليلة نسبيًّا ، فكل ما لدى المخابرات المصرية عن الأمر يتلخّص فى أنّ المركز الرئيسى للقوة فى قلب (باريس) ، عاصمة النور ، والجمال ، والفن .. وأن الأوامر الرئيسية الخاصة باسم وشكل وعنوان الشخص المراد اغتياله ، يتم نقلها عن طريق ملْهًى ليلىّ صغير فى شارع (بيجال) ، ولكن كل وسائل المراقبة والتحرّى لمْ يمكنها كشف وسيلة وصول تلك الأوامر إلى الملْهَى ، وإن كان هناك ما يؤكد وجود مكان رئيسى آخر تصدر منه الأوامر .

ولقد حرصت المخابرات المصرية على كتم ما لديها من

معلومات ، وعدم القيام بإجراء قوىّ ؛ لأنّ هذا قد يؤدّى فقط إلى تغيير نقطة نقل الأوامر ، لا إلى القضاء على [القوة (أ)] نفسها ، ومن هنا كانت ضرورة إرسال رجل مثل (أدهم صبرى) لملء فجوة المعلومات ، واتخاذ الإجراء المناسب لإيقاف عمل [القوة (أ)] ، أو تحطيمها تمامًا ، لم يكن عملاً هينًا ، ولكن (أدهم) كان يعلم نقطة البداية ، حيث ينبغى أن يبدأ عمله وتحرّياته فى ذلك الملهى الصغير بشارع (بيجال) فى قلب (باريس) .

توقّفت أفكار (أدهم) ، حينما ارتفع صوت مضيفة الطائرة يعلن وصولها إلى (باريس) ، ففتح (أدهم) عينيه ، وغمغم فى سخرية :

ــ فلتنسَ النوم من هذه اللحظة ، وحتى نهاية المهمة يا (أدهم صبرى) .

* * *

توقّفت سيارة رياضية أنيقة من نوع (البورش) ، أمام الملهى الليلى (سوار) ، فى منتصف شارع (بيجال) ،

وهبط منها (أدهم صبرى) مرتديًا حُلّة أنيقة سوداء اللون ، ورباط عنق صغير أنيق زاده وسامة ، وتحرّك فى خطوات هادئة رزينة نحو باب الملهى ، حيث أسرع حارس الملهى يفتح أمامه الباب الزجاجىّ ، وهو يمنى نفسه بإكرامية كبيرة ؛ إذ كان شكل (أدهم) ، وسيارته الأنيقة يوحيان بأنه شابٌ بالغ الثراء ، ولم يصدّق الحارس عينيه ، حينما وضع (أدهم) فى يده ورقة مالية كبيرة ، فى بساطة تنمّ عن اعتياد صاحبها دفع مثل هذه المبالغ ..

ولم يكد (أدهم) يخطو داخل الملهى حتى توجّه من فوره إلى مائدة القمار ، وسأل الرجل الذى يديرها فى فرنسيّة سليمة :

ــ هل هناك مقعد لى ؟

تأمّل الرجل وسامة (أدهم) وأناقته ، ثم قال وهو يحسبه فرنسيًّا خالصًا :

ــ يبدأ اللعب هنا بخمسة آلاف فرنك يا مسيو (....)

قال (أدهم) فى لهجة توحى بالاستهتار :



ولم يكد (أدهم) يخطو داخل الملهى حتى توجّه
من فوره إلى مائدة القمار ..

— (ميشيل) .. (ميشيل رونيه) ياصديقي ،
والآن .. هل هناك مقعد لى ؟

ابتسم الرجل وهو يشير إلى مقعد يتوسّط المائدة ،
فجلس (أدهم) فى هدوء ، وأخرج من سترته رزمة من
الأوراق المالية ذات الحجم الكبير ، تناول منها بضع أوراق
تزيد قيمتها على عشرة آلاف فرنك ، ألقاها على المائدة فى
استهتار ، وهو يقول بفرنسيته السليمة :

— كل هذا على رقم (سبعة) .

نظر إليه باقى اللاعبين فى دهشة ، فلم يكن من المعتاد
أن يبدأ شخص ما مراهنته بمثل هذا المبلغ الضخم ،
وازدادت دهشتهم حينما تقبّل (أدهم) خسارته فى لامبالاة ،
ثم ألقى على المائدة مبلغاً مماثلاً ، وقال :

— فلنراهن على رقم (تسعة) إذن .

وللمرة الثانية خسر (أدهم) ذلك المبلغ الضخم ، وفى
هذه المرة تلاشت لامبالاته ، وبدأ القلق يسرى فى ملامحه ،
وهو يضع خمسة آلاف فرنك أخرى ، قائلاً فى صوت فارقه
الاستهتار :

— فليكن رقم (واحد) هذه المرة .

ومع الخسارة الثالثة بدأ التوتر يظهر فى وجه (أدهم) ، وصوته ، وارتجافة أصابعه ، وهو يتناول خمسة آلاف فرنك أخرى من الرزمة التى تناقصت كثيرًا ، وقال فى صوت مفعم بالقلق :

— الرقم (ثلاثة) .

ابتسم اللاعبون فى شماتة حينما خسر (أدهم) هذا المبلغ أيضًا ، وحلّ رباط عنقه الصغير ، وأخذ يجفف عرقًا وهميًّا من فوق جبينه ، وهو يضع ما بقى من الرزمة المالية على مائدة القمار ، قائلًا فى صوت مرتجف :

— لن أخسر طوال الوقت ، سيربح الرقم (عشرة) هذه المرة .

دارت عجلة (الروليت) فى هدوء ، ثم توقفت الكرة على الرقم (خمسة) ، وارتعدت أطراف (أدهم) وهو ينهض من مقعده ، والهزيمة ترتسم فى كل خلجة من خلجاته ، كان يجيد تمثيل دوره إلى درجة يعجز عنها أعظم ممثلى السينما

العالمية ، حتى أن ذلك الانهيار الذى تظاهر به أثار الشفقة فى نفوس بعض اللاعبين ، على حين أثار سخرية البعض الآخر ، وتعمّد هو أن يبدو صوته مسموعًا بعض الشىء ، وهو يميل على أذن القائم باللّعبة هامسًا :

— هل يمكننى مقابلة المدير ؟ قد يمكننى الاتفاق معه و ....

لم ينتظر الرجل حتى ينتهى (أدهم) من عبارته ، بل أشار إلى غرفة صغيرة فى ركن الملهى . ثم عاد يولى اهتمامه شطر المائدة الملعونة ، التى يعثر عليها الأغبياء نقودهم ، على حين توجّه (أدهم) فى خطوات مرتبكة متعثرة إلى الحجرة التى أشار إليها الرجل ، وقال للحارس الضخم الذى يقف أمامها :

— هل يمكننى مقابلة المدير ؟ لقد خسرت مبلغًا ضخمًا و ...

قاطعه الرجل ، وقال وهو يبتسم ابتسامة مقيتة :

— لا أحد يمكنه استرداد خسارته يا مسيو ، إن أحدًا لم يجبرك على اللّعب .

قال (أدهم) فى لهجة عصبية :

ــ ومن طلب استرداد خسائره ؟ سأحصل على بعض المال مقابل سيارتى .

ابتسم الحارس الضخم ابتسامة الرجل الذى اعتاد مثل هذه الأمور ، وتحرك جانبًا ليسمح لـ (أدهم) بالمرور ..

وعلى الفور دخل (أدهم) إلى حجرة المدير ، وأغلق الباب خلفه .

رفع إليه المدير رأسه فى هدوء ، وسأله :

ــ ماذا تريد يامسيو ؟

أجابه (أدهم) فى لهجة توحى بالتوتر :

ــ (ميشيل رونيه) ياسيدى .. لقد خسرت أموالى كلها هنا و ....

قاطعه المدير ، قائلاً فى برود :

ــ وماذا بعد ؟

تظاهر (أدهم) بالارتباك ، وهو يقول :

ــ إن لدىّ سيارة ، سيارة حديثة من طراز (بورش) و ....

قاطعه المدير ، قائلاً فى برود :

ــ كم تطلب ثمنًا لها ؟

صمت (أدهم) لحظة ، وكأنه يتردد فى القول ، ثم قال فى صوت يلمح الإنسان فيه رنة الرجاء :

ــ إنها تساوى مليون فرنك يامسيو ...

قاطعه المدير (فرانسوا) ، قائلاً :

ــ ما رأيك فى مائة ألف فرنك ؟

تظاهر (أدهم) بالدهشة ، وهو يهتف :

ــ مائة ألف فرنك ؟! إن ذلك لا يساوى ثمن سيارة قديمة و ....

نهض (فرانسوا) ، وهو يقول فى لهجة توحى بالضجر :

ــ هذا كل ما يمكننى أن أدفعه .

كان هناك رجل نحيل ، أشقر الشعر ، يقف إلى جوار المدير ، فقال عند هذه النقطة :

ــ هل أطرده يامسيو (فرانسوا) ؟

مطّ (فرانسوا) شفتيه فى اشمئزاز ، وقال وهو يلوح بكفه لامباليًا :

— افعل يا (ألان) إننى أكره الرجال المترددين .

ارتسمت ابتسامة خبيثة ساخرة على وجه (ألان) ، وتقدم نحو (أدهم) ، قائلاً فى لهجة جافة تموج بالغطرسة :

— هيا إلى الخارج أيها الوسيم .

وفجأة .. دار (أدهم) على عقبيه ، وتحركت ذراعه فى سرعة خرافية ، لتهوى قبضته كالقنبلة على فك (ألان) ، الذى اختلط الألم بالدهشة على ملامحه وهو يترنح من هول الضربة ، ولكن (أدهم) عاجله بلكمة ثانية غاصت فى معدته ، ثم ثالثة هشمت أنفه ، وألقت به إلى ركن الحجرة ، ثم قفز (أدهم) مختطفاً فتاحة الخطابات المعدنية من فوق مكتب (فرانسوا) .. وقبل أن يخطو هذا الأخير خطوة واحدة ، كان طرف الفتاحة المدبب لصق عنقه ، وسمع صوت (أدهم) يقول فى حزم :

— أريد كل ما خسرته على موائدك اللعينة يا مسيو (فرانسوا) ، وإلا غرست هذا النصل بأكمله فى عنقك .

وبدلاً من أن يبدو الخوف فى عينى (فرانسوا) ، ابتسم

فى خبث ، وقال وهو يتفرس فى ملامح (أدهم) جيداً :

— هل ستقتلنى من أجل بضعة مئات من الفرنكات يا مسيو (ميشيل) ؟

كاد (أدهم) ينفجر ضاحكاً عند هذه النقطة ؛ إذ أنبأته غريزته أن الصنارة التى ألقاها قد اقتنصت صيدها ، فقال فى لهجة جافة :

— نعم يا مسيو (فرانسوا) ، سأقتلك دون تردد .

اتسعت ابتسامة (فرانسوا) الخبيثة ، وهو يقول وكأنما يحادث نفسه :

— إذن فأنت مستعد لقتل رجل من أجل المال يا مسيو (ميشيل) .

قال (أدهم) فى لهجة أرادها قاسية :

— وهل هناك ما يفوق المال أيها الرجل ؟

صاح (فرانسوا) فى لهجة مرحة مفاجئة :

— هذا عظيم ، عظيم للغاية .

تظاهر (أدهم) بالدهشة ، وهو يقول :

— عظيم أننى سأقتلك يا مسيو (فرانسوا) ؟

ترك (أدهم) (فرانسوا) يزيح يده ، قائلاً :

— سأعطيك ما خسرته من مال يا مسيو (ميشيل) ، ولكننى سأتحدث معك حديثاً هامًا ، يتعلّق بالمال أيضًا .

ثم تناول من مكتبه رزمة أوراق نقدية ، ألقى بها إلى (أدهم) قائلاً :

— هذه الرزمة تحوى مائة ألف فرنك ، وهى تفوق بلا شك ما خسرته هنا .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

— ولِمَ هذا الكرم المفاجئ يا مسيو (فرانسوا) ؟

ابتسم (فرانسوا) ابتسامته الخبيثة ، وقال :

— الأمر لا يتعلّق بالكرم يا مسيو (ميشيل) ، إن المبلغ الإضافىّ هو عربون لعمل سأطلب منك القيام به .

جلس (أدهم) على المقعد المواجه للمكتب ، وقال فى تهكم :

— دعْنى أخمّن .. هل يتعلّق الأمر بقتل شخص ما ؟

أطلق (فرانسوا) ضحكة خبيثة عالية ، وقال :

— ليس مجرّد قتل عادىّ يا (ميشيل) ، إنك ستنضمّ إلى واحدة من أكبر شبكات القتل فى العالم ، ولو أنك نجحت فى أولى مهامّك فسأضمن لك الانضمام إلى ما يسمى بـ [القوة (أ)] .

* * *



٤ ـ ملك الاغتيالات ..

هبط الدبلوماسىّ المصرىّ (رءُوف سعادة) من سيارته ، وتوجّه فى خطوات هادئة بطيئة إلى مبنى السفارة المصرية ، وفجأة تحرّك شاب وسيم ، يقف إلى جانب سور السفارة ، واقترب من الدبلوماسىّ فى خطوات سريعة ، وقبل أن يتحرّك أحد رجال الحرس ، أخرج الشاب مسدسه ، وأطلق منه ثلاث طلقات مُتتالية أصابت الدبلوماسىّ المصرى ، الذى سقط مُضرّجًا فى دمائه ، ثم استدار الشاب



وأطلق رصاصاته على رجال الحراسة ، وانطلق يعدو كالشيطان متجاوزًا الشارع ، وانحرف فى طريق جانبى ، حيث قفز فى سيارة صغيرة ، انطلق بها بسرعة الصاروخ ، ولم يكد يبتعد حتى أطلق ضحكة ساخرة عالية ، وغمغم فى لهجة تهكُّميَّة :

ـ تمثيلية رائعة .. لقد أجاد الجميع أدوارهم ، كما لو كنا على مسرح (رمسيس) ، فى قصة من إخراج (يوسف وهبى) نفسه ، لقد سقط (رءُوف) ، وكأن تلك الأكياس الدمويّة التى أصابته رصاصات حقيقية ، وهؤلاء الحراس أيضًا تصرفوا بذكاء ، لقد نجحنا فى خداع (القوة (١)) هذه المرة .

* * *

أطلق (فرانسوا) ضحكة عالية ، وقذف إلى (أدهم) رزمة كبيرة من الأوراق المالية قائلًا :

ـ رائع يا (ميشيل) .. لقد نفّذت عمليتك الأولى بنجاح رائع .

التقط (أدهم) الرزمة المالية ، ودسها فى سترته ، وهو يقول فى سخرية :

— لم أكن أتصور يومًا أن القتل له مثل هذا الثمن المرتفع يا مسيو (فرانسوا) .

قال (فرانسوا) فى مكر :

— إنها البداية فقط يا (ميشيل) ، وسرعان ما تغمرك الأموال حينما تنضم إلى [القوة (أ)] .

غمغم (ألان) — الذى تغطى الضمادات وجهه — فى حنق :

— لست أثق فى هذا الرجل يا مسيو (فرانسوا) .

أطلق (فرانسوا) ضحكة خبيثة ، على حين ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال لـ (ألان) :

— يبدو أنك تحتاج إلى درس آخر يا (ألان) .

تحرك (ألان) نحو (أدهم) فى غضب ، ثم لم يلبث أن تذكر لكمات (أدهم) القوية ، فعاد إلى مكانه وهو يغمغم بكلمات ساخطة غاضبة ، على حين تجاهل (أدهم)

ذلك ، وقال موجهًا حديثه إلى (فرانسوا) :

— لقد أثرت فضولى كثيرًا بحديثك عما يسمى بـ [القوة (أ)] يا مسيو (فرانسوا) ، متى يمكننى الانضمام إليها ؟

ابتسم (فرانسوا) ابتسامته الخبيثة ، وهو يقول :

— هذا يحتاج إلى مقابلة رئيس [القوة (أ)] يا (ميشيل) .

أحسن (أدهم) تمثيل الدهشة ، وهو يهتف :

— رئيس [القوة (أ)] ؟! ألست أنت الزعيم يا مسيو (فرانسوا) ؟

عاد (فرانسوا) بمقعده إلى الوراء ، وهو يضم كفيه ، قائلًا :

— كلا يا (ميشيل) ، إننى مجرد منفذ ، أو ناقل لأوامره ، إنه رجل رهيب تسانده دولة قوية ، وهو يدفع بسخاء برغم أنه ..

وقطع عبارته بضحكة ساخرة خبيثة ، فقال (أدهم) :

— ومتى يمكننى مقابلة هذا الزعيم ؟

هزّ (فرانسوا) رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

— لايمكنك هذا مطلقًا يا (ميشيل) ، إلّا إذا طلب هو نفسه ذلك ، وهذا لايحدث إلّا نادرًا ، نادرًا جدًّا .

* * *

لم يكد (أدهم) ينصرف من حجرة (فرانسوا) ، حتّى دقّ جرس الهاتف ، فالتقط (فرانسوا) سماعته ، وقال :

— هنا ملهى (سوار) .. من المتحدّث ؟

وما أن سمع صوت محدّثه ، حتى ظهر الاهتمام البالغ على وجهه ، وأصغى فى اهتمام ، ثم غمغم فى هدوء ، تبيّن فيه (آلان) رائحة الدهشة :

— حسنًا يامسيو (شاران) ، سأرسله إليك هذا المساء .. نعم .. فى المكان المعتاد .

ووضع سمّاعة الهاتف ، وظل صامتًا لحظات ، ثم التفت إلى (آلان) ، قائلًا فى دهشة :

— هذا عجيب ، إن مسيو (شاران) يطلب مقابلة (ميشيل) شخصيًا .

قال (آلان) فى حنق :

— وماذا يساوى هذا البرميل الأجوف ؟

التقى حاجبا (فرانسوا) وهو يغمغم :

— (ميشيل) ليس برميلًا أجوف يا (آلان) ، ولكن مايثير دهشتى هو أن مسيو (شاران) لايقابل أحدًا شخصيًّا ، إلا إذا كان هناك أمر أخطر مما نتصوّر .

ساد الصمت لحظات ، ثم عاد (فرانسوا) يقول :

— ولكننا لانملك أمام المبلغ الضخم الذى يدفعه مسيو (شاران) إلّا الطاعة يا (آلان) ، ستصطحب (ميشيل) إلى هناك هذا المساء .

وأردف بعد لحظة من الصمت :

— ويراودنى شعور قوىّ أنك ستعود دونه ، أو حاملًا جثّته على أحسن تقدير .

* * *

استسلم (أدهم) إلى (ألان) ، الذى وضع حول عينيه عصابة سوداء سميكة ، وقال فى لهجة خشنة قاسية :

لقد تلقّيت أوامرى بإطلاق النار عليك ، إذا ما حاولت رفع العصابة عن عينيك يا (ميشيل) .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ لا عليك يا صديقى ، إننى حريص مثلك على الوصول إلى زعيمكم .

قاده (ألان) إلى السيارة الكبيرة ، التى انطلقت فور ركوبهم إياها ، وقال (ألان) وهو يشعل سيجارته :

ـ ستقابل رجلاً داهيةً يا (ميشيل) ، وأنصحك أن تكون واضحًا صريحًا فى حديثك معه ، فهو قاسٍ كالفولاذ ، ولم يعرف قلبه يومًا معنى الرحمة .

مطّ (أدهم) شفتيه فى لامبالاة ، وغمغم :

ـ أغلق شفتيك على كلماتك السخيفة يا (ألان) ، ودعنى أستسلم للنوم قليلاً .

نظر إليه (ألان) فى دهشة ، وغمغم :

ـ النوم ؟!

ثم عاد ينفث دخان سيجارته فى عصبيّة ، ويتأمّل (أدهم) متسائلاً عمّا إذا كان قوى الأعصاب بالفعل ، أم أنه يتظاهر بذلك ، أما (أدهم) فقد تظاهر بالاستغراق فى النوم ، على حين أرهف حواسّه ، محاولاً استنتاج الطريق الذى تسلكه السيارة ، كان يحاول معرفة اتجاهات السيارة من خلال شعوره بالميل إلى الجانب الأيمن والأيسر ، على حين أخذت أذنه تلتقط كل الأصوات التى تصل إليها ، وتختزنها فى ذاكرته ، واستطاع أن يميّز صوت قطار ينطلق على مقربة من السيّارة ، وفى الاتجاه العكسىّ لسيرها ، ثم انحرفت السيارة يسارًا ، وعبرت شريط القطار ، وانطلقت فى طريق غير ممهّد ، على حين صمتت الأصوات تمامًا ، إلا من صوت سيارات تمرق بسرعة على بعد مائتى متر تقريبًا ، ثم بدأت هذه الأصوات أيضًا تخفت ، وتبتعد حتى اختفت تمامًا ..

واستنتج (أدهم) أنهم فى هذه اللحظة ينطلقون فى

طريق جانبى خاص خارج (باريس) ، واستمر سيرهم لمدة تزيد قليلًا على نصف الساعة ، ثم توقَّفت السيارة ، وانطلق نفيرها ثلاث مرات متعاقبة ، ثم ارتفع صوت بوابة معدنية تتحرك إلى الجانبين ، وعادت السيارة تأخذ طريقها عبر ممرّ ممهّد مسافة للمائة متر ، وتوقَّفت بغتة ، ثم سمع صوتًا خشنًا يقول فى فرنسية ركيكة :

ــ هل أحضرتم الرجل ؟

وسمع صوت (ألان) يقول :

ــ هاهو ذا .

ثم قاده (ألان) إلى خارج السيارة ، وصعد كلاهما سُلَّمًا من خمس درجات ، وعبرا بابًا كبيرًا ، سارا بعده فى ردهة أو ممر صغير ، ثم انحرفا جانبًا ، وعبرا بابًا خشبيًّا ، قبل أن يقول (ألان) ، فى لهجة توحي باحترامه وخوفه من محدّثه :

ــ مرحبًا يا مسيو (شاران) .. لقد أحضرت (ميشيل) حسبما طلبت .

ثم رفع العصابة السميكة عن عينى (أدهم) ، الذى بهرت الأضواء عينيه للوهلة الأولى ، وهو يسمع صوتًا مألوفًا يقول فى شماتة :

ــ هل انتحل اسم (ميشيل) هذه المرة ؟

فتح (أدهم) عينيه بغتة ، وافترّ ثغره عن ابتسامة ساخرة ، حينما وقع بصره على أربعة رجال يصوّبون إليه مدافعهم الرشاشة ، وبينهم يقف رجل يعلم (أدهم) ملامحه جيّدًا ، وخصوصًا ابتسامته الساخرة الشامتة الخبيثة ، لم يكن هذا الرجل سوى (شيمون إليعازر) ، أشرس ضباط المخابرات الإسرائيلية !!

* * *



٥ ـ لقاء الشياطين ..

تدلَّت فك (ألان) السفلى ، وهو ينقل بصره فى دهشة بين (موشى) و (أدهم) ، الذى تبدلت لغته على الفور من الفرنسية السليمة إلى العربية ، وهو يقول فى لهجة واضحة السخرية :

ـ يا للمفاجأة ! صديقنا الوغد (شيمون إليعازر) ، لم تنتحل إسم (شاران) إذن ؟

كتم (شيمون) الغضب العارم الذى تموج به نفسه ، وقال فى هدوء ظاهرىّ :

ـ إنه اسم حركىّ أيها المصرىّ .. ولو أننى أعلم اسمك لخاطبتك به

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ دَعْنا نقل إننى (لا أحد) أيها الوغد .

ضرب (شيمون) سطح المنضدة الصغيرة التى تواجهه بقبضته ، وصاح فى غضب لم ينجح فى كتمانه :

ـ هل تحاول التظاهر بالشجاعة ؟ ألا تعلم أننا قادرون على تمزيقك إربًا فى أقل من دقيقة ؟

قال (أدهم) فى صرامة :

ـ هل تظن أراجوزاتك هؤلاء يمكنهم إخافتى بهذه اللُّعب التى يحملونها ؟

ابتسم (شيمون) فى شراسة وخبث ، وقال :

ـ هذه اللُّعب تطلق نيرانًا قاتلة أيها المصرى ، وهؤلاء الرجال يحترفون القتل ، ولن يتردَّدوا لحظة واحدة .

وفجأة .. تحرَّك (أدهم صبرى) .. قفز فى سرعة وخفَّة كالنمر ، وجذب إليه (شيمون) من سترته بيمناه ، على حين ارتفعت قدمه اليسرى ، تطيح بالمدفع الرشاش الذى يمسك به أول الرجال ، ثم رفع (شيمون) كالطفل بين ذراعيه ، وألقاه نحو الرجلين الآخرين . فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها قدمه اليمنى ، لتركل المدفع الرشاش من يد الرجل الرابع ، ولكن (ألان) تحرَّك أيضًا فى سرعة عند هذه النقطة ، فأخرج مسدسه وأطلق منه رصاصة نحو (أدهم) .

شعر (أدهم) بالرصاصة تحتك بفروة رأسه ، وبالدماء تسيل من جرحه ، ولكنه استدار مواجهًا (ألان) ، الذى تراجع فى ذعر ، ولكن أحد رجال (شيمون) عاجله بضربة قوية من كعب بندقيته على مؤخرة عنقه .

أظلمت الدنيا أمام عينى (أدهم) وشعر بجسده يهوى على الأرض ، ثم فقد وعيه تمامًا .

نهض (شيمون) من سقطته ، وأخذ ينفض الغبار عن ثيابه ، وهو ينظر إلى (أدهم) فى حنق ، ثم قال فى غضب :

ـ يا له من شيطان !! لقد أحسنتم بهزيمته يا رجال .

غمغم أحد الرجال فى انفعال :

ـ إنه شيطان حقيقى يا مستر (شاران) ، هل رأيت كيف تحرك ؟ .. إنه يحرك أطرافه الأربعة فى سرعة مذهلة ، هل أطلق النار عليه ؟

قال (شيمون) فى عصبية :

ـ ليس على هذا النحو ، لقد أذل هذا الشيطان ناصيتى مرتين فى قلب (إسرائيل) ، وقتله وهو فاقد الوعى

سيتيح له موتًا هادئًا ، وأنا أحب أن يتعذب كثيرًا قبل أن يموت[*] .

ثم رفع رأسه إلى (ألان) ، وقال فى لهجة صارمة :

ـ ستحمله مرة ثانية إلى (فرانسوا) يا (ألان) ، ولكن مكبلًا بالأغلال هذه المرة ، وستخبر (فرانسوا) الغبى كيف أن هذا الشيطان نجح فى خداعه ، وستقتلانه بالوسيلة التى سأخبرك بها الآن ، ولكن حذار أن تفعلا قبل أن يستعيد وعيه .

وبدت على شفتيه ابتسامة وحشية ، وهو يردف :

ـ لابد أن يموت بأقصى قدر من العذاب والوحشية .

* * *

شحب وجه (فرانسوا) ، وهو يحدق فى وجه (ألان) مغمغمًا :

ـ مصرى ؟! .. ولكنه يتحدث الفرنسية بأفضل مما أفعل أنا .

(*) راجع قصتى (الخطوة الأولى) و (خيط اللهب) .. المغامرتان ٣١ و ٣٢ .

قال (ألان) فى انبهار :

ــ لقد انقلبت هذه الفرنسية فجأة إلى العربية ، حينما تحدث مع مسيو (شاران) .

التقى حاجبا (فرانسوا) ، وهو يغمغم فى دهشة :

ــ العربية ؟!

ثم رفع رأسه إلى (ألان) ، وسأله فى اهتمام :

ــ وهل أجابه (شاران) بالعربية أيضا .

أومأ (ألان) برأسه إيجابا ، وقال :

ــ ولقد ناداه هذا المصرى باسم (شيمون إليعازر) .

ابتسم (فرانسوا) تلك الابتسامة الخبيثة ، وقال :

ــ إذن فمسيو (شاران) لا ينتمى إلى الولايات المتحدة كما ادعى ، ولكن إلى (إسرائيل) ، كيف لم أستنتج ذلك منذ البداية ؟

واتسعت ابتسامته الخبيثة ، وهو يستطرد :

ــ حسنا يا (ألان) ، سننقل هذا المصرى إلى مخبئى الخاص ، حيث ننقله بالوسيلة التى طلبها مسيو (شاران) ،

وبعد ذلك نرى كم سيدفع لنا مسيو (شاران) ، حتى لا نبلغ السلطات المصرية بأنه يُدعى (موشى إليعازر) .

* * *

استعاد (أدهم) وعيه دفعة واحدة ، ولكنه ظل مغمض العينين فى محاولة لتبين موقفه ، علم من الوهلة الأولى أنه داخل زورق أو يخت ؛ لأن جسده كان يتمايل فى رفق ، كما يحدث بفعل الأمواج الهادئة ، وفى نفس الوقت كانت يداه مكبلتين فوق رأسه بأغلال حديدية ، من ذلك النوع الذى يستخدمه رجال الشرطة ..

وفتح (أدهم) عينيه فى بطء ، وكأنه يستعيد وعيه لتوه ، فطالعه وجها (فرانسوا) و (ألان) ، فابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة خبيثة ، وقال :

ــ يا إلهى !! كنت أظن الجنة هى مثواى ، ولكن هذه الوجوه أقرب إلى شياطين الجحيم .

تأمله (ألان) فى شماتة ، على حين قال (فرانسوا) فى هدوء :

— لا تتعجل أيها المصرى . لن تلبث أن تنتقل إلى الجحيم بعد لحظات .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

— هكذا ! وأين كبير الشياطين (شيمون) ؟

تجاهل (فرانسوا) سؤال (أدهم) ، وقال وهو يشير إلى خرطوم كاوتشوكى يتدلى داخل الكابينة ، التى قيّد إليها (أدهم) :

— هل تعلم ما الذى سيحمله هذا الخرطوم إلى هنا أيها الشيطان ؟ .. ليس ماء كما قد تتصوّر بل بنزينا سريع الاشتعال .

قال (أدهم) متهكّما :

— هل ستصنع جحيما صناعيًا أيها الوغد ؟

وللمرة الثانية ، تجاهل (فرانسوا) سخرية (أدهم) ، واستمر يقول :

— بعد انصرافنا أنا و (ألان) ، ستتدفق كمية كبيرة من البنزين داخل الكابينة ، وبعد ساعة واحدة ستشتعل

شرارة كهربية أحكم (ألان) إعدادها ، وستكون النتيجة الحتمية هى اشتعال النيران حولك أيها الشيطان ، وسيشوى جسدك حيًا قبل أن ينفجر اليخت .

ساد الصمت لحظات ، ثم سأل (أدهم) :

— كيف عرفنى (شيمون) يا (فرانسوا) ؟

هزّ (فرانسوا) كتفيه وقال :

— لقد أرسل رجاله خلفك يراقبونك فى أثناء عملية اغتيال الدبلوماسى المصرى . ولقد التقطوا لك فيلما كاملا . وما أن وقع بصره عليك فى الفيلم حتى عرفك على الفور .

غمغم (أدهم) فى سخرية :

— سأهنئه على ذكائه فى الجحيم .

ابتسم (فرانسوا) فى خبث ، وقال :

— إنك جرىء بالفعل أيها الشيطان .

ثم تحرّك نحو باب الكابينة ، قائلا :

— الوداع أيها المصرى .



يا للأوغاد !! لقد أعدُّوا لى ميتة بشعة بالفعل ..

ابتعد (ألان) فى خطوات ساخرة ، وأدار محبسا صغيرا إلى جوار باب الكابينة وهو يقول :

ــ إلى الجحيم أيها الشيطان

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ــ سنلتقى قريبا أيها الوغد .

وما هى إلا لحظات ، حتى سمع (أدهم) صوت الزورق البخارى الذى يحمل (فرانسوا) و (ألان) وهو يبتعد ، ونظر إلى البنزين الذى تدفق فى قوة من الخرطوم غامرا قاع الكابينة ، ثم غمغم ساخرا :

ــ يا للأوغاد !! لقد أعدُّوا لى ميتة بشعة بالفعل

* * *

نظر (ألان) فى ساعته ، ثم انحرف ببصره إلى اليخت الصغير ، الذى يقبع وسط المياه بعيدا عن الشاطئ ، وقال فى شماتة محدِّثا (فرانسوا) :

ــ لم يعد أمامه سوى دقيقة واحدة ، ستشتعل النيران فى اليخت بأكمله .

ظل (فرانسوا) صامتا ، حتى رأى ألسنة اللهب تندلع فجأة فى اليخت ، فابتسم فى شراسة وخبث ، قائلا :

— إلى الجحيم أيها المصرى ، سيعوضنا مسيو (شيمون) كثيرا عن اليخت .

لم يكد (فرانسوا) ينتهى من عبارته ، حتى انفجر اليخت بدوى شديد ، وتناثرت أجزاؤه وسط المياه ، فأطلق ضحكة ساخرة ، وقال :

— هذا عظيم ، لم يبق من جسد الشيطان المصرى ما يملأ كأسا صغيرة ، لقد هزمناه تماما .

* * *



٦ — الشيطان يعيش مرتين ..

توقفت (منى توفيق) عن قراءة الملف عند هذه النقطة ، واستدارت إلى (أدهم) تسأله فى لهفة :

— يا له من أمر بشع !! كيف نجوت حينذاك يا (أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) دون أن يجيبها ، على حين هتف (قدرى) فى ضيق :

— دعينا نواصل القراءة يا (منى) ، وسيتضح لنا كل شىء .

قالت (منى) فى عناد :

— أريد أن أعلم الآن يا (قدرى) .

هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال فى بساطة :

— لقد كنت مقيّدا بأغلال حديدية مثبتة إلى الحائط بمسامير قوية .. ولقد أخطأ (فرانسوا) ، حينما أخبرنى أن

شيئا لن يحدث قبل ساعة كاملة ؛ لأنه بهذا التصريح جعلني أتحرك في هدوء ، غير مبال بتدفق البنزين داخل الكابينة ، وكان أول ما فعلته هو أن جمعت كل ما أملك من قوة ، وجذبت المسامير التي تثبت أغلالي الحديدية ، حتى نزعتها .

ابتسم (قدري) ، وهو يغمغم :

ـ هكذا ؟! ببساطة !!

تابع (أدهم) في هدوء :

ـ وبعد ذلك أصبحت حرًا ، أو بمعنى أدق غير مثبت إلى الحائط ، وإن ظلت الأغلال الحديدية في يدي ؛ لذا بحثت طويلًا ، حتى وجدت قطعة معدنية رفيعة ، أمكنني بواسطتها التحرر من الأغلال الحديدية ، ثم قفزت في البحر و ....

قاطعته (منى) صائحة في إعجاب :

ـ إن من يسمعك تروي القصة ، يتصور الأمر غاية في البساطة ، ولكنني أراه معقدًا للغاية ، ويحتاج إلى مهارة وهدوء أعصاب خارقين .

مط (أدهم) شفتيه ، قائلًا :

ـ ليس الأمر بالصعوبة التي تصورينها يا عزيزتي ، لقد احتجت إلى نصف ساعة كاملة للتحرر من قيودي ، على حين كان (هوديني) يفعل ذلك في لحظات(*) .

ضحكت (منى) في مرح ، وقالت :

ـ يا لك من متواضع !!

التقى حاجبا (قدري) في غضب مفتعل ، وقال :

ـ يا للنساء !! ألن تواصلي القراءة ؟

اتسعت ابتسامة (أدهم) ، وهو يتأمل (قدري) بجسده البدين ، على حين ضحكت (منى) في مرح ، ثم عادت تفتح الملف ، وتواصل القراءة .

* * *

(*) (هاري هوديني) : أشهر ساحر عرفته المسارح في القرن العشرين ، وقد اشتهر بقدراته الخرافية على الإفلات من القيود ، مهما بلغت قوتها ، حتى أنه نجح يومًا في حل قيوده داخل صندوق معدني بالأقفال الحديدية ، على عمق خمسة عشر مترًا تحت طبقة من الجليد ، وقد تحول في عام ١٩٢٨ إلى دراسة عالم الروح .

انطلقت ضحكة ساخرة شامتة مجلجلة من فم (ألان) ، وهو يدير محركات السيارة ، على حين قال (فرانسوا) ، وهو يشعل سيجارته :

ـ الآن يمكننا مطالبة مسيو (شيمون) بعشرة ملايين فرنك على الأقل .

سقطت السيجارة من بين شفتى (فرانسوا) ، وارتجف جسد (ألان) فى قوة ورعب ، وامتلأ قلب الرجلين بالذعر ، حينما ارتفع صوت (أدهم) الساخر يقول :

ـ لم يحن الوقت بعد أيها الوغدان .

تحركت يد (ألان) المرتجفة نحو مسدسه ، الذى يختفى فى جيب سترته ، وتسمرت أطراف (فرانسوا) ، واتسعت عيناه رعبًا وذهولًا ، ولكن (أدهم) برز فجأة من الجانب الأيسر للسيارة ، وملابسه تقطر بمياه البحر ، وتحركت قبضته فى سرعة خرافية لتحطم أنف (ألان) فى صوت مسموع ، ثم عادت يد (أدهم) فى خفة ومهارة لتلتقط المسدس ، الذى سقط من يد (ألان) ، وحينما

عادت إلى أطراف (فرانسوا) حركتها . كان (أدهم) يصوب إليه فوهة المسدس ، ويقول فى سخرية حطمت البقية الباقية من أعصاب (فرانسوا) :

ـ معذرة أيها الوغد ، لم أجد الوقت مناسبا للذهاب إلى الجحيم .

صرخ (فرانسوا) بأعصاب منهارة :

ـ هذا مستحيل . لا يمكنك أن تظل حيًا !!

ابتسم (أدهم) فى تهكم ، وهو يقول :

ـ هل أبدو لك رجلا ميتا أيها الوغد ؟.. هل رأيت أشباحا تطلق النار من قبل ؟

ارتجف صوت (فرانسوا) ، وهو يقول :

ـ هذا مستحيل .. أنت شيطان .

قال (أدهم) فى برود :

ـ لقد سئمت هذا الذهول الذى يرتسم على وجوهكم دائما ، أخبرنى أيها الوغد . هل يمتاز الأشرار دائما بالبلاهة ؟

حاول (فرانسوا) استعادة سيطرته على أعصابه ، وهو يقول لـ (أدهم) :

— كيف نجوت ؟

ابتسم (أدهم) فى تهكم قائلا :

— دعْنا من هذه التُّرهات الآن . سأطلب منك أن تجيبنى عن سؤال معيّن .

عاد جسد (فرانسوا) يرتجف ، بينما تحوّل صوت (أدهم) إلى دفق صارم ، يثير البرودة فى الأطراف ، وهو يقول :

— أريد اسم المكان الذى يختفى فيه (شيسون) ، والقائمة التى تحوى اسم كل رجال [القوة (١)] .

اتسعت عينا (فرانسوا) رعبًا ، وأشاح بيده فى قوة صائحًا :

— هذا مستحيل . إنك تحكم علىّ بالقتل ، ثم إننى لا أحمل مثل هذه القائمة .. إن عملى يقتصر على إبلاغ الأوامر لمن يصل إلى ملهاى من رجال [القوة (١)] .

ساد الصمت قليلا ، و (أدهم) يركز عينيه الصارمتين فى عينى (فرانسوا) الخائفتين ، ثم سأله (أدهم) فى صرامة :

— هل تحمل خريطة لـ (باريس) ؟

أشار (فرانسوا) إلى دُرج السيارة ، صائحًا :

— نعم ، إنها هنا .

ثم أسرع يفتح الدُّرج ، ويناول الخريطة إلى (أدهم) الذى ابتسم فى غموض ، وقال :

— إنها تكفى أيها الوغد .

وفى تلك اللحظة تأوّه (ألان) ، وبدا واضحًا أنه يستعيد وعيه ، فقال (أدهم) فى لهجة آمرة :

— ستعمل الآن على قيد هذا الوغد ، وتكميمه جيّدًا ، ثم ستستسلم إلىّ وأنا أفعل بك ما فعلته به .

ثم ارتسمتْ على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يستطرد :

— هذا أفضل من القتل .. أليس كذلك ؟

* * *



انحنى يفحص الخريطـــة ، ويقــول :
ــ والوصول بكما إلى مثل هذا الموقف يحتاج إلى خطة معقدة ..

انتهى (أدهم) من قيد وتكميم (فرانسوا) ، ثم تأكد من إحكام قيود (ألان) ، وابتسم في سخرية ، وهو يواجه الرجلين اللذين حدقا في وجهه رعبا ، ثم قال :

ــ برغم محاولتكما التظاهر بالجهل ، إلا أنني متأكد تمامًا من معرفتكما لأسماء العاملين في [القوة (ا)] ، ولكنكما لن تبوحا بها خشية الموت .

ثم نشر خريطة (باريس) على مقدمة السيارة ، مستطردًا :

ــ والأسلوب الأمثل لإجبار مثليكما على البوح بما لديهما ، هو أن يكون كشف السر هو الوسيلة الوحيدة أمامهما للنجاة ، أو بمعنى أدق ، ألا يكون أمامكما سوى ذلك .

وانحنى يفحص الخريطة ، ويقول :

ــ والوصول بكما إلى مثل هذا الموقف يحتاج إلى خطة معقدة ، تبدأ بالتوصل إلى المقر السرى لهذا الوغـد (شيمون) رأس [القوة (ا)] .

تجاهل (أدهم) غمغمة غير مفهومة ، خرجت من فم (فرانسوا) المكمم ، وواصل حديثـه وهـو يراقب الخريطة ، قائلًا :

— حينما اصطحبنى (ألان) إلى المقر السِّرّى ، بدأنا رحلتنا من أمام الملهى ، ثم انطلقنا فى طريق مستقيم يمرُّ ببرج (إيفل) ، حيث وصلت إلى مسامعى أصوات الحركة الدائبة حوله ، وبعدها انحرفنا يسارًا ، ثم يمينا .

كان (أدهم) يتحدَّث وهو يتابع خط السير على الخريطة بسبابته ، على حين اتسعت عينا (ألان) ، و (فرانسوا) دهشة ، أما هو فاستمر قائلا :

— ثم فى طريق مستقيم حتى وصلنا إلى شريط قطار ، ها هو ذا يبدو واضحا على الخريطة ، ولقد انحرفنا يسارًا لعبوره ، حيث أصبحنا خارج (باريس) لفترة ما ، وانحرفنا فى طريق جانبى غير ممهَّد .

وصلت دهشة الرجلين إلى ذروتها ؛ إذ كان (أدهم) يصف الطريق ، ويتابعه بسبابته فوق الخريطة ، كما لو كان يعرفه جيِّدًا ، برغم تأكد (ألان) من إحكام العصابة السوداء فوق عينيه وقتها .. وتوقَّف (أدهم) عند هذه النقطة ، ثم قال :

— فى هذا المكان توجد ثلاثة طرق فرعية غير ممهَّدة ، وينتهى كل منها بضيعة خاصة ، والدليل الوحيد الذى يقودنا إلى الضَّيعة المطلوبة ، هو أننا حينما عبرنا الطريق غير الممهَّد ، انحرفنا مرتين إلى اليسار ، وأخيرا إلى اليمين قبل أن نتوقف أمام المكان ، وهذا لا ينطبق إلا على ضيعة واحدة .

ورفع رأسه إلى الرجلين ، وهو يبتسم ابتسامة ساخرة ، قائلا :

— وهذا يعنى أن المكان الذى يختبئ فيه (شيمون) ، هو ذلك القصر المعروف باسم (لاروز) ، إنه المقر الرئيسى لقيادة [القوة (١)] .. أليس كذلك ؟

ظهر التوتر على وجهى الرجلين ، وأخلد كل منهما للصمت ، فأطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

— من حسن الحظ أنك تمتلك سيارة مزوَّدة بهاتف خاص يا (فرانسوا) ، فخطتى تعتمد بالضرورة على إجراء مكالمة هاتفية خاصة مع (شيمون) .

وفى هدوء ، أدار (أدهم) رقما قصيرا . وقال حينما سمع صوت محدّثه ، وبفرنسية خالصة :

— أريد معرفة الرقم الهاتفى لقصر (لاروز) .

واستمع لحظات إلى محدّثه ، ثم أغلق الخط ، وبدأ يدير رقم قصر (لاروز) فى هدوء ، ولم يكد يسمع صوت محدّثه ، حتى قامت حنجرته المرنة بواجبها خير قيام ؛ إذ تحوّل صوته ولهجته ونبراته ، إلى نسخة لا تقبل الشك من (فرانسوا) ، الذى اتسعت عيناه رعبا وذهولا ، حينما قال (أدهم) مقلّدًا إياه فى براعة خرافية :

— مرحبا يا مسيو (شاران) ، أنا (فرانسوا) ، لقد انتهت المهمة ، وقضينا على ذلك الجاسوس المصرى .

صاح (شيمون) على الجانب الآخر ، بفرح لم يستطع كتمانه :

— رائع ، هل احترق تماما ؟.. هل تأكدت من موته ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

— لقد احترق حتى النخاع يا مسيو (شاران) ، ولكن هذه العملية تحتاج إلى مكافأة خاصة .

قال (شيمون) فى صرامة :

— أنت تحصل على الكثير يا (فرانسوا) ، وهذا يكفى .

أجابه (أدهم) فى هدوء :

— خطأ يا مسيو (شاران) ، إننى لم أحصل بعد على ما يكفى لأن أنسى أنك تدعى (شيمون إليعازر) ، وأنك تنتمى إلى المخابرات الإسرائيلية ، ويمكننى أن أحصل على أضعاف ما تمنحنى إياه ، لو أننى أخبرت المخابرات المصرية بما لدىّ من معلومات .

صاح (شيمون) فى غضب :

— إنه هذا الوغد (ألان) ، لقد أخبرك بما سمعه ولا شك ، ولكن اسمع جيّدًا يا (فرانسوا) ، لو أنك فهت بكلمة واحدة عن هذا ، فسيكون الموت مصيرك .

قال (أدهم) فى سخرية ، مقلّدًا لهجة وصوت (فرانسوا) :

— فلتفعل ما تشاء أيها الحقير ، ولكننى سأبلغ المخابرات المصرية ، مالم أحصل على مليار فرنك .

ثم أغلق سماعة الهاتف فى قوة ، والتفت إلى الرجلين اللذين بلغ منهما الرُّعب مبلغه ، وقال فى سخرية :

— الآن ستسعى [القوة (أ)] بأكملها للقضاء عليكما أيها الوغدان ، وليس هناك من سبيل لتفادى حدوث ذلك إلا الإيقاع بالشبكة بأكملها .

ارتسم الرعب بأجلى صُوَره على وجهى الرجلين ، على حين أخذ (ألان) يطلق صرخات مكتومة متشنجة ، مما دفع (أدهم) إلى رفع الكمامة من فمه قائلاً :

— حسنًا أيها الوغد ، هل لديك ما تخبرنى به ؟

صاح (ألان) فى رعب :

— نعم أيها المصرى ، نعم ، سأخبرك أين تجد قائمة كاملة تحوى أسماء كل رجال [القوة (أ)] .

عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره فى هدوء ، وابتسم فى سخرية وهو يقول :

— حسنًا ، كلى آذان مُصغية .

قال (ألان) فى صوت مرتجف :

— فى الدُّرج الأيمن العلوى من مكتب مسيو (شاران) ، أُقسم لك أنها القائمة الوحيدة الموجودة .

صمت (أدهم) لحظة ، ثم غمغم فى تهكُّم :

— حسنًا يا (شيمون) ، مجريات الأحداث تجبرنا على المواجهة مرَّة أخرى .

* * *



٧ ــ الطريق إلى الموت ..

انطلق (أدهم) بسيارة (فرانسوا) فى الطريق إلى قصر (لاروز) ، كان يعلم جيدًا أن مبادرته هذه قد تقوده إلى موت حتمى ، ولكن رجلًا مثل (أدهم صبرى) لم يكن ليأبه بالموت فى سبيل وطنه ، ولم تكن المخاطر تمنعه يومًا عن القيام بعمل يؤمن بصوابه ، وبأهميته لمصر التى أنجبته ، حتى أنه وهو يقود السيارة فى الطريق إلى الموت ، لم يفكّر لحظة فيما يمكن أن يصيبه ، كل ما كان يخشاه هو أن يلقى مصرعه ، فتستمر [القوة (أ)] فى عملها الدموىّ ، كان يعلم أنه بسبيله لمواجهة عدد لا يعلمه من الرجال الذين اعتادوا القتل ، وسفك الدماء ، وأنه لا يملك فى مواجهتهم ، إلا ذلك المسدس الذى اغتصبه من (ألان) ، والذى يحوى تسع رصاصات فقط ، كان عليه أن يواجه الرجال والعتاد ، بمسدسه وذراعيه وعقله .

أوقف (أدهم) السيارة عند بداية الطريق غير الممهد ، وترجّل منها حاملًا مسدسه ، ثم تحرّك فى خفة ، مجتازًا الطريق على قدميه فى حذر وسرعة ، حتى ذلك المنحنى الذى يقود إلى البوابة المعدنية التى يقف على حراستها ثلاثة رجال ، تقبض أيديهم على مدافعهم الرشاشة ، وتتحرك عيونهم فى كل مكان .

اختفى (أدهم) خلف بضعة أغصان متشابكة ، وأخذ يدرس الموقف على بعد عشرة أمتار من الحراس الثلاثة ، ثم غمغم فى سخرية :

ـــ إن هذا الوغد يحيط نفسه بحراسة مُحْكَمة .

كانت الأمتار العشرة التى تفصله عن الحرّاس الثلاثة ، عارية تمامًا من أى شىء يمكن أن يختبئ خلفه ، وهذا يعنى أن يعدو فى العراء نحوهم ، أو يطلق عليهم رصاصات مسدسه ، ولكن هذا التصرُّف الأخير ، كان يعنى أن يعلم جميع من بالقصر أنّ هناك هجومًا مّا ، ويفقد (أدهم) تمامًا عنصر المفاجأة ، وثلاث رصاصات من مسدسه .. وتمتم (أدهم) :

— ألم يكن بإمكانك حمل مسدس مزود بكاتم للصوت يا (ألان) ؟

ثم توقف فجأة ، ونظر إلى المسدس ، واتسعت ابتسامته الساخرة ، وهو يقول فى مرح :

— ومن العجيب أن مسدسك سيكون له الفضل ، لو أننى نجحت أيها الوغد .

* * *

كان الحراس الثلاثة يدورون بأعينهم فى كل مكان ، فى حركة دائبة لا تنقطع ، تنم عن خبرتهم الواسعة فى حراسة الأماكن الحربية ، والسرية ، ولم يكن أحدهم يتبادل كلمة واحدة مع الآخرين ، ولكن أنظارهم التقت فجأة ، حينما وصل إلى مسامعهم صوت جسم ما يشق الهواء نحوهم .. وقبل أن ينطق أحدهم بكلمة واحدة سقط هذا الشىء على بعد مترين منهم ، توجهت أبصار الرجال الثلاثة إلى ذلك الشىء ، وهتف أحدهم فى دهشة :

— عجبًا ، إنه مسدس .

هتف الآخران فى آن واحد :

— مسدس ؟!! من أين أتى ؟.

كانت أبصار ثلاثتهم موجهة إلى المسدس الراقد على الأرض أمامهم ، حينما اندفع (أدهم) كالصاروخ من بين الأغصان ، وعندما رفعوا رءوسهم وفوهات مدافعهم الرشاشة نحوه ، كان قد أصبح على بعد ثلاثة أمتار منهم فقط ، وعند هذه النقطة وثب (أدهم) نحوهم كالفهد ، وحطمت قبضته اليمنى الحديدية أنف أولهم ، على حين أطاحت قدماه بمدفعى الرجلين الآخرين ، ثم هوت يسراه كالصاعقة مهشمة فك الثانى ، وأسرع الثالث محاولا طلب النجدة عن طريق جهاز اللاسلكى المثبت بالحائط إلى جوار البوابة ، ولكن ذراع (أدهم) أوقفته ، وانتزعته من مكانه انتزاعا ، ثم عاجله بلكمة كالقنبلة على مؤخرة عنقه ، سقط الرجل بعدها صامتًا فاقد الوعى .

تم الأمر فى سرعة مذهلة ، حتى أنه استغرق ما يقل عن نصف الدقيقة ، والتقط (أدهم) أحد المدافع الرشاشة ،

وهو يتأمل الصرعى الثلاثة ، ثم التقط مسدس (ألان) ، ودسه فى حزامه ، ووقف يتأمل البوابة المعدنية المغلقة مغمغمًا :

— ها قد انتهينا من الخطوة الأولى ، وحصلنا على سلاح إضافى .

كانت البوابة المعدنية من ذلك النوع الذى يفتح أوتوماتيكيًا ، عن طريق جهاز خاص داخل القصر ، حيث يقوم الحراس بإبلاغ (شيمون) عن الزائر ، ويتولى هو فتح البوابة المعدنية ، وكان هذا يعنى استحالة دخول (أدهم) إلى القصر عن طريقها ؛ لذا فقد راح يقيس ببصره ارتفاع الأسوار ، ثم غمغم فى سخرية :

— إن الوصول إليك يحتاج إلى مجهود عنيف أيها الوغد .

ثم أردف وهو يشمر عن ساعديه ، استعدادًا لتسلق السور :

— ولكن الأمر يستحق ذلك .

* * *

جلس (شيمون إليعازر) فى مقعده ساخطًا غاضبًا ، وأخذ يراجع قائمة تضم العديد من الأسماء ، وهو يقول لشاب وقف أمامه صامتًا :

— هذا الوغد (فرانسوا) يهدد بإفشاء سرنا ، سألقنه درسًا لن ينساه فى الآخرة يا (جونين) .

قال (جونين) فى هدوء :

— لقد أطلقنا ثلاثة من أبرع رجالنا فى أثره يا سيدى ، ولن تشرق الشمس ، حتى يكون فى عداد الأموات هو و (ألان) .

قال (شيمون) فى حنق ، وهو يعيد القائمة إلى درج مكتبه الأيمن العلوى :

— لقد أخطأنا منذ البداية حينما اعتمدنا على فرنسى .

هز (جونين) كتفيه ، وقال :

— هذا ما أشارت به أجهزة الأمن يا سيدى ، فهذا يمنع توصل المخابرات المصرية ، أو السورية إلينا ، أو على الأقل يجعله أمرًا بالغ الصعوبة .

قال (شيمون) فى حنق :

— هراء .. لقد نجحنا دائمًا دون الاستعانة بالآخرين .

تنحنح (جونين) قائلًا :

— ليس دائمًا يا سيِّدى .

صاح (شيمون) فى غضب :

— باستثناء بعض المساعدات الطفيفة بالطبع .

ابتسم (جونين) ابتسامة خبيثة دون أن يحر جوابًا ، على حين عاد (شيمون) يقول فى حنق :

— إننى أخشى أن يتسرع هذا الأحمق (فرانسوا) بإبلاغ المصريِّين ، لا بُدَّ لنا من تشديد الحراسة على القصر .

مطَّ (جونين) شفتيه ، وقال :

— إننا ثمانية رجال فى هذا القصر ، وهذا يشمل كلينا أيضًا يا سيِّدى .. ولقد تركت ثلاثة رجال عند البوابة الرئيسية ، و ....

قاطعه (شيمون) قائلًا :

— هذا لا يكفى ، إن القوة ترتكز عادة عند خط الدفاع الأول .. زِدْ عددهم إلى أربعة .

ثم سأله وهو يضغط زرّ جهاز اللاسلكى :

— من هم الرجال الثلاثة ؟

أجابه (جونين) :

— (جاكوب) و (كيمان) و (آلون) .

قال (شيمون) من خلال جهاز اللاسلكى :

— هنا (شيمون) .. أجب يا (آلون) .. كيف الحال عند البوابة ؟

انتظر (شيمون) طويلًا دون أن يتلقَّى جوابًا ، فعاد يكرِّر عبارته فى قلق ، ثم أعادها مرة ثالثة ، ورفع رأسه إلى (جونين) فى توتُّر صائحًا :

— هناك خلل ما يا (جونين) .. أسرع إلى هناك .

أسرع (جونين) ينفِّذ الأمر ، وقد انتقل إليه قلق رئيسه وتوتُّره ، على حين التقط (شيمون) مسدسًا قويًا من مكتبه ، وتأكد من حشوه ، ثم دسَّه فى سترته ، وهو يقول فى حنق :



استدار (شيمون) فى رعب ، وسقط به مقعده فى حركة حادّة ، حينما وقع بصره على (أدهم) ..

ــ أغبياء .. إننى أعمل مع طغمة من الأغبياء الحمقى .

وانتفض جسده بغتة ، حينما أتاه من خلفه صوتٌ ساخرٌ مألوف ، يقول فى هدوء وبعبرية سليمة :

ــ الطيور على أشكالها تقع يا ملك الأغبياء والحمقى .

استدار (شيمون) فى رعب ، وسقط به مقعده فى حركة حادّة ، حينما وقع بصره على (أدهم) ، الذى استند فى تراخٍ إلى حاجز النافذة ، وصوّب نحوه فوّهة مدفعه الرشاش .

* * *



٨ ــ أمطار من نار ..

كان وقع المفاجأة شديدًا على (شيمون) ، الذى شعر برغبة جارفة فى البكاء من شدة القهر والغضب ، وأخذ جسده يرتجف كما لو وقف مبتلًا وسط الثلوج ، ونهض من سقطته فى صعوبة دون أن يرفع عينيه عن (أدهم) ، الذى واصل حديثه فى سخرية :

ــ ماذا أصابك يا ملك الأوغاد ؟ تبدو وكأنك رأيت الشيطان نفسه .

غمغم (شيمون) فى مذلة :

ــ هذا لا يخالف الحقيقة كثيرًا .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

ــ لن أضيع الكثير من وقتك يا صديقى الوغد ، سأحصل على قائمة أفراد [القوة (أ)] ، وأنصرف على الفور .

تغلّب حقد (شيمون) وحنقه على خوفه ، فصاح فى شراسة :

ــ محال .. إنك لن تخرج من هنا حيًا .

قال (أدهم) فى لهجة تحمل استهتارًا خفيًا :

ــ دع لى هذه المشكلة يا صديقى ، وأعطنى ما طلبت .

صاح (شيمون) فى عناد :

ــ لن تغادر المكان حيًا .

تحوّلت لهجة (أدهم) الساخرة إلى الصرامة ، وهو يقول فى صوت حازم قوىّ :

ــ حسنًا أيها الوغد ، سأساومك ، ستعطينى القائمة ، أو تتلقّى حفنة من الرصاصات القاتلة .. أيهما تفضل ؟

تردّد (شيمون) لحظة ، ثم اندفع يقول فى حنق :

ــ ألا يوجد غيرك فى المخابرات المصرية ؟ لماذا تقف دائمًا فى طريقى ؟

عادت الابتسامة الساخرة إلى وجه (أدهم) ، وهو يقول :

— إنه القدر يا عزيزى .

ثم عاد إلى لهجته الصارمة مستطردا :

— والآن .. أيهما تفضل يا سيّد (شيمون) ؟

تردّد (شيمون) مرة أخرى ، ثم قال :

— إنها ليست هنا .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال :

— هكذا ؟! يا لها من محاولة سخيفة !!

ثم اكتسى وجهه بتعبير مسرحىّ ساخر ، وهو يستطرد :

— ألا تعلم أننى أستطيع قراءة أفكارك أيها الوغد ؟

ومسّ جبهته بأطراف أصابعه فى شكل مسرحى ، وأردف :

— أفكارك تقول أن القائمة فى مكتبك ، فلنحاول الغوص أكثر فى عقلك ، حسنًا .. إنها فى الدرج الأيمن العلوى على وجه التحديد .

اشتعل الغضب فى عينى (شيمون) ، وهو يضغط أسنانه قائلًا :

— لقد تكلّم (الآن) .. أليس كذلك ؟

تجاهل (أدهم) السؤال ، وعاد إلى لهجته الصارمة قائلًا :

— هل ستعطينى القائمة ؟ أو أحصل عليها بعد وفاتك بالفعل أيها الوغد ؟

وقبل أن ينطق (شيمون) بكلمة واحدة ، اندفع (جونين) إلى الحجرة صائحًا :

— لقد هوجم رجالنا يا سيّد ....

وبتر عبارته وهو يحدّق فى وجه (أدهم) بذهول ، على حين قال هذا الأخير فى هدوء :

— ألقِ سلاحك أيها الوغد .

كانت المفاجأة مذهلة ، حتى أن (جونين) أفلت من يده مدفعه الرشاش على الفور ، ورفع ذراعيه فوق رأسه مستسلمًا ، وقال (أدهم) فى صرامة قاسية :

— القائمة يا سيِّد (شيمون) ، وإلا فلن يبقى أحدكما حيًا ليقصَّ ذلك على قيادتكما .

* * *

أشعل أحد الحراس الإسرائيليين الثلاثة الباقين فى الحديقة المحيطة بالقصر سيجارته ، وقال محدثًا زميليه :

— لماذا كان (جونين) يبدو مرتبكًا ، وهو يسرع إلى غرفة الزعيم ؟

هزَّ زميله كتفيه ، وقال :

— وكيف لى أن أعلم ؟

قال الحارس الثالث فى قلق :

— أخشى أن يكون أمرنا قد كشف أو ....

قاطعه الأول قائلاً :

— ما رأيكما لو أننا دُرنا حول القصر ؛ لنستمع إلى حديث (جونين) مع السيِّد (شيمون) من خلال النافذة ؟

قال الحارس الثانى فى صرامة :

— هذا مخالف للتعليمات يا (راءول) .

هزَّ (راءول) كتفيه فى استهتار ، ونفث دخان سيجارته ، وقال :

— فلتبق أنت هنا يا (حام) ، وسأذهب أنا و (شتاين) لنعلم ماذا يحدث هنا .

ظهر الغضب على وجه (حام) لحظة ، ثم هزَّ كتفيه بدوْره ، وترك زميليه يسيران نحو نافذة مكتب (شيمون) فى الجانب الآخر للقصر ، وكان (راءول) يقول :

— لقد سئمت هذا العمل يا (شتاين) ، الجميع يحصلون على أموال طائلة مقابل اغتيال بعض الأفراد ، على حين تتيبَّس أطرافنا فى حراسة المكان .

قال (شتاين) فى غضب :

— أنت مُحقٌّ يا (راءول) ، إننا نحصل على الفتات .

وفجأة .. أمسك (راءول) ذراع زميله ، صائحًا :

— يا للشيطان !! انظر هناك يا (شتاين) ، عند النافذة .

رفع (شتاين) بصره إلى حيث أشار (راءول) ، وتصلَّبتْ قبضته على مدفعه الرشاش ، وهو يغمغم :

ـ ماذا يحدث هناك ؟

قال (راءول) ، وهو يتحرَّك نحو النافذة فى خفَّة :

ـ هناك شخص ما يصوِّب الرشاش إلى السيِّد (شيمون) و (جونين) ، لقد تسلَّل أحدهم دون أن نشعر .

سأله (شتاين) فى توتُّر :

ـ ماذا نفعل ؟

ابتسم (راءول) فى خبث وشراسة ، وقال :

ـ سنطلق عليه النار بالطبع ، هذه هى الوسيلة الوحيدة لاستعادة مكانتنا أمام السيِّد (شيمون) ، سننهال على هذا المتسلِّل بوابل من النيران .

ثم جذب زناد مدفعه الرشاش ، مستطردًا :

ـ إننا لن نخطئه من هذه المسافة القريبة .

ومع آخر حروف كلماته ، انهالت النيران كالمطر على النافذة التى يقف أمامها (أدهم صبرى) .

* * *



٩ ــ للقط سبعة أرواح ..

من الحواس النادرة التى يمتاز بها (أدهم صبرى) عن أقرانه فى عالم المخابرات ، والتى أهّلته لحمل لقب (رجل المستحيل) استجابته الخارقة للمؤثرات الخارجية ، وقدرته التى تفوق أجهزة الكمبيوتر ، فى إتيان رد الفعل المناسب فى الوقت المناسب ، وهذا الوقت المناسب يكون فى بعض الأحيان جزءًا من الثانية ، وهذا ما حدث بالضبط فى ذلك اليوم .

لقد كان (أدهم) يصوّب مدفعه الرشاش إلى (جونين) و (شيمون) ، فى محاولة لإجبار هذا الأخير على تسليمه القائمة التى تضم أسماء رجال [القوة (أ)] ، حينما تناهى إلى مسامعه صوتٌ خافت ، انتقل من أذنه إلى عقله فى جزء لا يكاد يذكر من الثانية ، وقارنه العقل بالأصوات المحفوظة فى الذاكرة ، فتبيّن فيه صوت مدفع رشاش يعد للإطلاق ..

وعلى الفور أرسل المخ تحذيرًا إلى كل أطراف (أدهم صبرى) ، واستغرقت هذه الرحلة ما يقل عن نصف الثانية فى جهاز (أدهم) العصبىّ ؛ لذا فقد تحرّك مبتعدًا عن النافذة فى سرعة خرافية ، فى نفس اللحظة التى انهمر فيها وابل النيران ، حتى أن (شتاين) هتف فى ذهول :

ــ لقد اختفى !!.. هل كنا واهمين ؟

وتحرّك (جونين) و (شيمون) أيضًا فى سرعة ، فالتقط الأول مدفعه الرشاش ، وصوّبه إلى (أدهم) ، على حين اندفع الثانى نحوه محاولاً تكبيله بذراعيه ، ولكن مبادرة (أدهم) كانت تفوقهما سرعة ، فرفع مدفعه الرشاش ، وأطلق منه دفعة من النيران أطاحت بمدفع (جونين) ، ثم انحنى إلى أسفل متفاديًا ذراعى (شيمون) ، وانطلقت قبضته كالقنبلة تطوّح به بعيدًا ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها (جونين) نحوه ، فمال (أدهم) يسارًا ، ثم أطلق العنان لقبضته فى معدة (جونين) الذى انثنى ألمًا ، وأخرجه (أدهم) من المعركة بلكمة أخرى ساحقة ،

حطمت أسنان الإسرائيلى ، وهشمت فكه السفلى ، ثم عاد يتحرك فى سرعة ، موجهًا فوهة مدفعه الرشاش نحو (شيمون) ، قائلًا :

ـــ القائمة يا مسيو (شيمون) .

مسح (شيمون) خيط الدم الذى انهمر من أنفه ، وانطلق الغضب فى أعماقه هادرًا ، فصرخ :

ـــ النجدة يا رجال ، إنه جاسوس .

وعلى الفور .. عادت الطلقات النارية تنهال كالمطر ، وصاح (شيمون) وقد أعماه الغضب عن السلاح المصوب إليه :

ـــ لقد أخبرتك أنك لن تغادر المكان حيًا أيها الشيطان .

وفى هدوء خرافى ، أدار (أدهم) فوهة مدفعه الرشاش إلى الدرج الأيمن العلوى من مكتب (شيمون) ، وأطلق النار على قفله ، فتحطم القفل ، وتحرك (أدهم) فى سرعة ، وجذب الدرج الذى سقط وتناثرت محتوياته على الأرض ، فالتقط (أدهم) القائمة من وسطها .

صرخ (شيمون) فى جنون ، حينما رأى القائمة بين أصابع (أدهم) :

ـــ لن تحصل عليها أمام عينىّ .

ثم نهض فى حركة مفاجئة ليختطف القائمة من بين أصابع (أدهم) ، ولكن ذلك التصرف المفاجئ جاء بنتيجة لم يتوقعها أحد ؛ إذ أصبح (شيمون) بهذه الحركة فى مرمى نيران رجاله ، وقبل أن ينتبه أحدهم إلى ذلك ، اخترقت رصاصات مدافعهم الرشاشة جسده ، وأردته قتيلًا على الفور .

صرخ (راءول) فى جنون حينما تبين ما حدث :

ـــ يا للهول !! لقد أصبنا القائد .. لقد قتلنا زعيمنا .. ويل لنا !!

صاح (شتاين) فى انفعال :

ـــ هذا الشيطان هو المسئول يا (راءول) ، لابد من قتله .

ثم تلفت حوله وصرخ فى غضب :

— أين (حام) ؟. ألم يسمع صوت الرصاصات ؟

وفى هذه اللحظة .. كان (حام) يتسلل ، محاولاً بلوغ غرفة مكتب (شيمون) لمفاجأة (أدهم) ، على حين كان (أدهم) يحاول البحث عن وسيلة للخروج ؛ إذ أن مجرد حصوله على القائمة لايعنى شيئاً ، لو أنه لم ينجح فى إيصالها إلى المسئولين ، وكان الطريق الوحيد أمامه هو عبر ردهة القصر الرئيسية ، وتحرك (أدهم) نحو باب المكتب ، محاولاً الابتعاد عن مرمى النيران التى تنهمر غزيرة عبر النافذة، واضطر فى خلال ذلك إلى تخطى جسد (شيمون) الذى لقى مصرعه ، فغمغم :

— لقد كنت محقاً أيها الوغد .. إننى لم أحصل على القائمة إلا فوق جثتك .

ثم تحرك فى هدوء ، وفتح باب المكتب ، وكانت فى انتظاره مفاجأة . فقد وجد نفسه وجهاً لوجه أمام (حام) ، وفى لحظة واحدة أطلق كل منهما رصاصات مدفعه الرشاش نحو الآخر .

* * *

لم يكن الفارق بين سرعة الرجلين يتجاوز نصف الثانية ، ولكن هذا الفارق مكّن (أدهم) من نيل خصمه أولاً ، فاخترقت رصاصاته جسد (حام) ، الذى ضغطت أصابعه على زناد مدفعه الرشاش فى نفس اللحظة ، وانطلقت رصاصاته فى مستوى منخفض ، ولكن اثنين منها اخترقا فخذ (أدهم) اليسرى ، فسقط جسده أرضاً ، ثم



تحامل على ذراعيه ، ونهض يجر ساقه المصابة غير مبالٍ بآلامه المبرحة ، ولكنه لم يكد يصل إلى باب القصر الرئيسى ، حتى اخترقته عدة رصاصات لم تصب إحداها (أدهم) ، وسمع صوتاً خشناً يقول بالعبرية :

— استسلم أيها الجاسوس ، وإلا فلن تغادر المكان حيًا .

وبرغم آلامه وصعوبة موقفه ، إلا أنه ابتسم ساخرًا ، ربما من القدر ، إذ أن عدم توقُّف إطلاق النار من الجانب الآخر ، كان يعنى أن حراس البوابة المعدنية الثلاثة قد استعادوا وعيهم ، وأنهم قد انضموا إلى المقاتلين .. وغمغم (أدهم) ، وهو يحاول إيقاف الدماء التى تنهمر من جراحه :

— تُرى .. أيمكن لرجل مصاب أن يهزم خمسة أوغاد ؟ أم أنها النهاية ؟

ومع نهاية كلماته تحطَّم رتاج الباب الرئيسى أمام عينيه ، إثر وابل من النيران انهمر حوله ، فأردف (أدهم) فى سخرية مريرة :

— يبدو أنها النهاية .

* * *

١٠ — اللحظات الأخيرة ..

انتظر الحراس الإسرائيليون الثلاثة لحظات ، بعد أن تحطَّم رتاج الباب الرئيسى للقصر ، حتى يأمنوا الجانب الآخر ، ثم اندفعوا فى هجوم انتحارىّ يقتحمون القصر ، وشاركهم (شتاين) ، و (راءُول) الاقتحام فى نفس اللحظة من نافذة مكتب (شيمون) ، والتقى الفريقان فى ردهة القصر ، والتقت نظراتهم فى دهشة ، ثم صاح (آلون) :

— أين ذهب ذلك الشيطان ؟ هل تبخَّر ؟

تلفَّت الجميع حولهم فى حذر ، ثم أشار (راءُول) إلى خيط من الدماء ، ينتهى خلف أريكة كبيرة فى وسط البهو ، وقال :

— إنه يختفى خلف الأريكة ، لقد كشفت دماؤه أمره .

صوَّب الرجال الخمسة مدافعهم الرشاشة إلى الأريكة ، وصاح (آلون) :

ـ أخرج من مخبئك أيها الرجل ، لقد كشفنا أمرك ، وسنطلق رصاصاتنا عليك ما لم تستسلم .

ولمّا لم يتلقَّ جوابًا ، صاح فى غضب :

ـ أطلقوا النار يا رفاق .

انهمرت رصاصات المدافع الرشاشة الخمسة على الأريكة ، التى تحطّمت تمامًا تحت هذا الوابل من النيران ، واندفع الرجال نحوها ، ثم صاح (شتاين) فى دهشة :

ـ لا أحد هنا ، أين ذهب إذن ؟

جاءه صوت هادئ ، تشوبه رنة ساخرة يقول :

ـ خلفكم تمامًا أيها الأوغاد .

استدار الخمسة فى حدّة ، إلى حيث برز (أدهم) من خلف مقعد كبير فى الطرف الآخر للبهو ، وارتفعت فوّهات مدافعهم الرشاشة نحوه ، ولكن (أدهم) كان يمتلك زمام المبادرة ، وانطلقت من مدفعه رصاصات قاتلة تعرف طريقها جيّدًا ، وسقط (شتاين) ، و (آلون) و (كيهان) صرعى يتخبّطون فى دمائهم ، على حين

اخترقت رصاصتان ذراع (جاكوب) ، وتحطّم المدفع الرشاش بين يدى (راءول) .

صرخ (جاكوب) وهو يحاول منع الدماء التى نزفت بغزارة من جراحه ، على حين وقف (راءول) يتطلّع إلى (أدهم) فى ذعر واستسلام ، وشعر (أدهم) بالضيق ، فبرغم العديد من العمليات الحربية التى شارك فيها فى حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر ، إلا أنه كان يبغض القتل ، ويحاول جاهدًا تلافيه كلما سنحت الفرصة ، ولم يكن يلجأ إليه إلا دفاعًا عن حياته فقط ، وبدا الضيق فى صوته ، وهو يقول محدّثًا الرجلين الباقيين :

ـ انتهى الأمر أيها السادة ، سنذهب جميعًا إلى السفارة المصرية .

صاح (راءول) فى ذعر :

ـ سنفعل كل ما تأمر به أيها السيّد .

لم يجد (أدهم) فى نفسه القدرة على الابتسام أو السخرية ، فقال فى لهجة جافة .

ــ ستضمّد جراح زميلك أولا ، ثم ستقود أنت السيارة إلى هناك .

* * *

انطلقت سيارة (شيمون) السوداء فى الطريق إلى قلب (باريس) ، يقودها (راءول) ، وإلى جواره (جاكوب) على المقعد الأمامى ، على حين جلس (أدهم) فى المقعد الخلفى مصوبًا مسدسه إليهما ، كان يشعر بإعياء شديد من جرّاء الدماء التى فقدها ، والحركة العنيفة المتواصلة منذ وصوله إلى باريس ، وأصابته الدهشة حينما تذكّر أنه وصل منذ أقل من ست وثلاثين ساعة فقط ، إذ بدت له هذه الأحداث وكأنها استغرقت دهرًا كاملًا ، وأخذ يجاهد ليبقى عينيه مفتوحتين ، حتى لا يغفل عن مراقبة الرجلين ، ولكن (راءول) لمح محاولاته المستميتة من خلال مرآة السيارة ، فقال وهو يراقبه فى إمعان :

ــ لن يمكنك المقاومة طويلًا ، سرعان ما تفقد وعيك .

كان (أدهم) يعلم أنه على حق ، ولكنه بذل مجهودًا خرافيًا ليبتسم فى سخرية ، قائلًا :

ــ لن ترى ذلك أيها الوغد .

سأله (جاكوب) فى توتر :

ــ ماذا يعنى هذا ؟

أجابه (أدهم) فى صوت خافت :

ــ يعنى أننى سأطلق النار عليكما ، قبل أن أفقد الوعى تمامًا ؛ لذا فمن الأفضل أن تسرعا إلى السفارة المصرية .

زاد (راءول) من سرعة السيارة ، وأخذ يراقب الإجهاد الواضح على وجه (أدهم) فى مرآة السيارة ، وهو يقول :

ــ هل ستلقون القبض علينا فى السفارة المصرية ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة شاحبة ، وغمغم :

ــ لقد انتهت الحرب أيها الرجل ، ولدينا مئات الأسرى من جانبكم ، ولسنا نحتاج إلى المزيد .

انحرفت السيارة فى الطريق المؤدى إلى قلب (باريس) ، حيث السفارة المصرية ، وشعر (أدهم) أن إبقاء عينيه

مفتوحتين يحتاج إلى مجهود خراف ، ولكنه قاوم الخمول الذى سيطر على جسده ، وهو يقول :

ــ الشارع القادم إلى اليسار أيها الوغد ، هناك ستجد السفارة المصرية .

انحرفت السيارة فى الشارع الذى أشار إليه (أدهم) ، وتوقّفت أمام السفارة المصرية تمامًا ، فأسرع حرس السفارة نحوها ، وأصابته الدهشة حينما رأى (أدهم) يصوّب مسدسه إلى الرجلين ، ولكن (أدهم) ناوله مسدسه قائلًا :

ــ اتركهما ينصرفان أيها الجندى ، وأخبر السيّد (رءوف سعادة) ، أن (أدهم صبرى) يريد مقابلته لأمر عاجل للغاية .

أسرع (راءول) و (جاكوب) يبتعدان عن السفارة المصرية غير مصدّقين أنهما قد نجيا ، على حين نظر الحارس فى جزع إلى الدماء التى تغطّى ساق (أدهم) ، وسأله :

ــ هل أذهب بك إلى المستشفى يا سيّدى ؟ إنك تنزف الدماء فى غزارة .

قال (أدهم) ، وهو يحاول الابتسام :

ــ كلا أيها الجندى ، ولكن أخبر السيّد (رءوف) على وجه السرعة .

لم يكد (أدهم) يتم عبارته ، حتى عجزت ساقاه عن حمله ، وسقط بين ذراعى حارس السفارة المصرية فاقد الوعى .

* * *

كانت أشعة الشمس تملأ المكان ، حينما فتح (أدهم) عينيه ، وطالعه وجه الدبلوماسى المصرى (رءوف سعادة) ، فغمغم وهو يبتسم :

ــ مرحبًا يا سيّدى السفير .

ابتسم (رءوف) وقال فى لهجة تحمل الفخر :

ــ فى خير حال أيها البطل ، كيف حالك أنت ؟

ودون أن ينتظر إجابة (أدهم) ، استطرد قائلًا :

ــ لقد أخرج الملحق الطبّى للسفارة من ساقك رصاصتين ، ولكنه يقول إن عظام الساق لم تمسّ ، ولقد

نقلنا إليك حوالى لترين من الدم طوال الليل ، ولقد أثار هذا الأمر كثيرًا دهشة الملحق الطبى ؛ إذ أن فقدان هذا القدر ، كفيل بقتل أى إنسان على الفور .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ــ ربما لم يحن قدرى بعد يا سيدى .

اتسعت ابتسامة السفير المصرى ، وهو يقول :

ــ لقد أنجزت عملًا بطوليًا يا سيد (أدهم) ، ولقد عثرنا على القائمة المطلوبة فى ثيابك ، وأبلغناها إلى المخابرات المصرية على الفور بالشفرة ، وهم يقولون إنك وضعت حدًّا لطغيان [القوة (أ)] .

ابتسم (أدهم) دون تعليق ، فعاد السفير يقول :

ــ ولكن لماذا أطلقت سراح الإسرائيليين اللذين أجبرتهما على نقلك إلى هنا ؟

صمت (أدهم) لحظة ، ثم ابتسم قائلًا :

ــ لأن أول ما سيفعلونه هو إخبار رؤسائهم بكشف أمر [القوة (أ)] ، وبأن لدينا قائمة كاملة بأسماء أفرادها ،

وسيقوم رؤساؤهم على الفور بإلغاء ومنع أى عمليات اغتيال ، تمّ إصدار أوامرها من قبل ، ثم إن هذا سيلقنهم درسًا فى تفوّق المخابرات المصرية ، وترفّعها عن سلب حياة الأفراد ، وسيعلمون أننا نصل إليهم مهما بلغت دقة وسائل التخفى لديهم .

رفع السفير حاجبيه ، قائلًا :

ــ تفكير رائع منظم يا سيد (أدهم) .

ثم ابتسم وهو يرمقه بإعجاب مستطردًا :

ــ إنك تستحق عن جدارة لقب (رجل المستحيل) .

* * *



١١ ــ الختـــام ..

ــ رائع .

هتفت (منى) فى جذل ، وهى تغلق ملف عملية [القوة (أ)] ، ثم تطلعت إلى (أدهم) صائحة :

ــ لقد كنت تقوم بعمليات رائعة قبل أن نعمل معًا يا (أدهم) .

تراقصت ابتسامة خبيثة على شفتى (أدهم) ، على حين انفجر (قدرى) مقهقهًا ، وقال :

ــ عجبًا .. كنا نظن نجاح (أدهم) يعود إلى صحبتك إياه يا (منى) .

ظهر الغضب على وجه (منى) ، وقالت :

ــ هل تنكر أنه لم يفشل مرة واحدة فى أثناء عملنا معًا يا (قدرى) ؟

عاد (قدرى) يقهقه ضاحكًا ، ثم قال :

ــ ولكن هذا كان يستلزم مجهودًا إضافيًا يا عزيزتى .

التقى حاجبا (منى) ، وتقطّب جبينها فى غضب ، وهى تلتفت إلى (أدهم) قائلة :

ــ هل هذا صحيح يا (أدهم) ؟

قال (أدهم) وهو يكتم ضحكته :

ــ فى الواقع .. لو أننا نظرنا إلى الأمور من الجانب المتفائل ، فإن ....

قاطعته صائحة فى غضب :

ــ هكذا ؟! أبعد أن قضيت إلى جوارك أكثر من شهر وأنت فاقد الوعى ....

بترت عبارتها فجأة ، واحمر وجهها خجلًا وهى تقول :

ــ معذرة يا (أدهم) ، ما كان ينبغى أن أقول ذلك .

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :

ــ لا عليك يا عزيزتى ، إننى أراك رائعة دائمًا ، حتى فى لحظات الغضب .

ازداد احمرار وجهها ، وهى تغمغم فى حياء :

— أحقًا يا (أدهم) ؟

تنحنح (قدرى) فى ارتباك ، وقال :

— أين يقع مطعم هذا المستشفى ؟ إننى أتضوَّر جوعًا .

أطلقت (منى) ضحكة مرحة فى محاولة للتغلُّب على ارتباكها ، على حين ابتسم (أدهم) وهو يقول مداعبًا :

— رحماك يا (قدرى) .. إن وجبتك العادية ستحرم نصف نزلاء المستشفى من وجباتهم لأسبوع على الأقل .

ارتجَّ جسد (قدرى) المكتظ وهو ينفجر ضاحكًا ، ثم قال :

— كم أوحشتنى دعاباتك يا صديقى .. إننى لم أعد أتناول الكثير من الطعام منذ غيابك .

قال (أدهم) مداعبًا :

— يا للمسكين !! أراهن أن وجبتك لم تكن تتعدَّى نصف طن من اللحوم .

ابتسم (قدرى) فى خبث ، وقال :

— ولكننى كنت أوزِّعه على ثلاث وجبات .

ثم نهض مستطردًا :

— والآن .. أين يمكن تناول وجبة دسمة ؟

ابتسمت (منى) فى مكر ، وقالت :

— لو أننى تلقَّيت اعتذارًا مناسبًا ، يمكننى أن أعدّ وجبة دسمة ، تتكوَّن من الدواجن المحمَّرة ، والأرز ، (والمكرونة) ، والبفتيك ، واللحوم الباردة و ....

قاطعها (قدرى) ، وهو يخفى وجهه بيديه صائحًا :

— يا إلهى !! سأظل أعتذر ما بقى لى من العمر يا زميلتى العزيزة ، لقد سال لعابى حتى كاد يملأ جوفى .

ثم عاد يبتسم فى خبث ، قائلاً :

— ولكن هذا لا يعنى خطأ ما قلته من قبل .

ظهر الغضب على وجه (منى) لحظة ، ثم انفجر الثلاثة ضاحكين ، وقالت (منى) فى مرح وهى تنظر إلى (أدهم) :

— فليكن يا (قدرى) ، المهم أننى سأعود قريبًا للعمل ثانية مع (رجل المستحيل) .

* * *

[تمت بحمد الله]